التعريب

(تابع لما في الجزء السابع عشر)

هذا كلهُ في الاعلام واشباهها مما يُقصد فيهِ حكاية اللفظ الاعجمي بصورتهِ وليس من التعريب في شيءٍ كما قدّمناهُ . واما الالفاظ التي يراد تعريبها حتى تلحق بالاوضاع العربيَّة وتُستعمل استعمالها فلا بدّ من تبديل مخارجها طبقاً لما نقلناهُ عن سيبويه وغيرهِ من ائمة اللغة . وقد مرَّ ذكر الحروف التي يطَّرد ابدالها والتي لا يطَّرد ولا بأس ان نزيدها هنا تفصيلاً فنقول ان الجيم والكاف والقاف من التي يطرد ابدالها تُبدَل من الحرف الذي بين الجيم والكاف وبعبارةٍ اخرى من الجيم التي تشبه الجيم المصرية وهذا مما يُثبت ان جمهور العرب في صدر الاسلام وما اتصل بهِ من اواخر الجاهلية لم يكونوا يعرفون لفظ الجيم الا شجريًّا على ما اوضحناهُ في غير هذا الموضع[1] . وزاد المتأخرون ابدالاً آخر لهذا الحرف يبدلون منهُ الغين المعجمة كما في الجغرافية والغاز والغرافيت والستغراد وغير ذلك وعليهِ اكثر الكتّاب المعاصرين ما خلا المصريين منهم فانهم اكثر ما يعبرون عنهُ بالجيم لموافقتهِ لفظها عندهم . والباء والفاء تُبدلان من الحرف الذي بينهما وهو الباء الفارسية كما في بطريق وفالوذ والمعرّبون اليوم يقتصرون فيهِ على الباء دون الفاء لانها اقرب اليهِ في المسموع وذلك كما في بلاتين وكوبال وغيرها . وقد علمت ان الابدال المطرد يقع في كل حرفٍ ليس من حروفهم

(١) البيان ص ١٨٧ والضياء ١ ص ٤٣٣ وما بعد

كما مرّ عن المزهر وليس ثمة الا حرفان كما رأيت . واما ما سوى ذلك كابدال السين من الشين وعكسه وابدال العين من الهمزة كما في عيسى وعربون واللام من بعض الحروف كما في قفشليل معرَّب كفچليز والذال من الدال كما في ساذَج فلا يظهر لهُ غرضٌ الا الدلالة على التعريب وليس تحتهُ كبير امرٍ ولذلك لم يطّرد هذا الابدال بل كثيراً ما نقلوا بعض الكلمات على اصل لفظها كما في اسرائيل ويوسف وشيت وشمشون وغيرها وهو اليوم مهملٌ من اصلهِ . وبقي من الابدال المطّرد موضعان احدهما الجيم الفارسية وهي المركبة من التاء والشين فانهم يبدلون منها شيناً كشنبر في چنبر والثاني وهو ما لم يُضطرّوا اليهِ في وقتهم الحرف الذي بين الفاء والواو او بين الباء والواو فانهم يبدلون منهُ احد هذه الاحرف الثلاثة كما يقال فابور ووابور وبابور وربما اقتُصر على بعضها دون بعض كما يقال واتيكان وفاتيكان ولم يُسمع باتيكان وكما يقال بُركان وابريل بالباء وحدها ولم يُسمَع بغيرها . والابدال بين هذه الاحرف الثلاثة شائعٌ في كثيرٍ من اللغات كالعبرية واللاتينية والالمانية والتركية وغيرها ومرجعهُ في الاختيار الى الذوق وسهولة الجري على اللسان

ويلحق بذلك تبديل الحركات الممالة مما مرّ بيانهُ فلا بد من ردها الى الحركات العربية الثلاث فتُجعَل التي بين الفتح والكسر فتحاً صريحاً او كسراً صريحاً وكذلك التي بين الفتح والضم وهلمَّ جرًّا وذلك كما فعلوا في سام وشيت وموسى واصلهنَّ بمدَّاتٍ ممالة . على ان هذه المدّات اذا وقعت في اواخر الكلم فقد يختلف حكمها كما سيجيء وقد مرّ شيءٌ من ذلك في

اوائل هذه المقالة

ثم ان الالفاظ العربية مقيدة بصيغ وهيئاتٍ لا متَّسَع عنها لمكان التصريف والاعراب فلا يمكن التحام اللفظة الاجنبية بينها واجرآء احكامها عليها ما لم توافقها في اوزانها واواخرها . وانظر في ذلك الى لفظ الامبراطور مثلاً الذي حار الكتاب في جمعهِ فنهم من جمعهُ على امبراطورين وهو ليس مما يُجمَع جمع السلامة لانهُ ليس بصفةٍ ولا علم ومنهم من جمعهُ على امبراطرة وهو اقبح لخروجهِ عن اوزان الجموع فضلاً عما في الجمعين من الثقل . ومثلهُ لفظ الكردينال والاميرال فيمن استعملهُ كذلك[1] فانهم يجمعونهما تارةً على كردينالات واميرالات وتارةً على كردينالية واميرالية بزيادة يآء النسبة وكلاهما لا وجه لهُ . على ان منهم من يجمع الاول على كرادلة بحذف اليآء والنون فصار كانهُ جمع كردال وهو امرٌ اتفاقيٌّ لان اليآء والنون من احرف الزيادة فسَهُل حذفهما من غير اشكال . وسبيل العرب في ذلك ان يحذفوا من اللفظة ما زاد على القدر ثم يسبكونها في احد القوالب العربية ويجرون عليها حكم امثالها . ومن امثلة ذلك في معرَّباتهم الشُبارق بضم الشين وهو ما اقتُطع من اللحم صغاراً وطُبخ قال ابن دُرَيد وهو معرَّب پيشباره فحذفوا البآء المعقودة وما اتصل بهـا من اولهِ وابدلوا من آخرهِ قافاً على ما مرّ ذكرهُ من مصطلحهم ثم سبكوهُ على مثال عُذافِر

(١) الاميرال لفظ عربي واصلهُ امير البحر او امير الاسطول فاقتصر الافرنج على لفظة امير وزادوا عليها الالف واللام مما يليهـا وجعلوا الكل كلمة واحدة وهذا كما فعلوا في التعبير عن ذنب الاسد وهو اسم نجم فقالوا فيهِ دنبلا بفتح الدال والنون وضم البآء . والانكليز يقولون في الاميرال ادميرال بزيادة دال بعد اولهِ وهو غريب

كما صرّح بهِ في الصحاح . ومن ذلك قولهم درهمٌ بهرج وهو الزيف المردود او الذي ضُرب على غير سكة الامير واصلهُ نبهره فحذفوا النون من اولهِ وتصرفوا في باقيهِ على ما علمت . على ان منهم من يقول فيهِ نَبَهْرَج على الاصل فيكون بوزن سفرجل ولكنهم آثروا حذف النون لئلا يضطرّوا ان يقولوا في الجمع نباهر او نباهج فيبعد عن صورة المفرد على ان النون من احرف الزيادة فهي اطوع للسقوط . وهذا كثيراً ما يراعونهُ في الحذف كما في قولهم القِرقِس بكسرتين وهو معرَّب جِرجِشْت فحذفوا التاء من آخرهِ ومثلهُ الفِهْرِس في فِهرِسْت وغير ذلك . وقد ورد لنا من هذا النوع الشَّبَنْزَى والطَبَرْخَى الاول تعريب شِمپانزي وهو صنفٌ من القرود مشهور والثاني تعريب غوتاپرخا للمادّة الصمغية المعروفة فجاء كلاهما على وزن سفرجل وبذلك جانسا الاوضاع العربية حتى لقد ذكر لنا بعض المنقبين عن الفاظ العرب انهُ لما رأى لفظ الشبنزى في الضياء لم يشكّ في بادي الرأي انهُ وضعٌ عربيٌّ حتى خُيّل لهُ ان العرب كانت تعرف هذا الحيوان

وهناك امرٌ آخر وهو مجيء كثيرٍ من الالفاظ الاعجمية مختوماً بواوٍ بعد ضمة وهو ما لا تجدهُ في اسمٍ عربيٍّ من الاسماء المتصرفة وذلك من مثل كنتراتو وقنصلاتو مما كانت الواو فيهِ مزيدةً وهي الالفاظ المنقولة عن الطليانية او مثل پالطو وپاردسو مما كانت الواو فيهِ من اصل الوضع . واغرب ما ترى مثل هذه الالفاظ اذا اردت تثنيتها او جمعها فانها اذا ثُنّيت او جُمعت على لفظها جاءت ثقيلةً مستهجنة ولذلك ترى الذين يجمعون الضرب الاول منها يحذفون هذه الواو من آخرهِ فيقولون كنتراتات وقنصلاتات

واذا ثنَّوهُ قالوا كنتراتتان وقنصلاتتان جرياً على مثال الجمع كأن مفردهُ كنتراتة وقنصلاتة . واما الضرب الثاني فكيفما ثنيتهُ او جمعتهُ جاء نافراً في الذوق قبيحاً في السمع ولذلك لا تكاد تسمعهُ مثنًى ولا مجموعاً . وكذلك اذا استعملت هذه الاسماء منكَّرةً فانهُ لا سبيل الى ترك تنوينها لان العجمة وحدها لا تكفي لمنع الصرف ولا سبيل الى تنوينها ايضاً الا بحذف اواخرها وابقاء ما قبلها مضموماً في حالتي الرفع والجرّ وكل ذلك لا ترى لهُ نظيراً في العربية . وحينئذٍ فلا بدّ من التغيير في كل ما كان آخرهُ كذلك اما بحذف آخرهِ او بقلبهِ الفاً مثلاً او بزيادة شيءٍ عليهِ حتى يصير حشواً وبكلٍّ من هذه الاوجه عمل المعرّبون الاولون . فمثال الحذف قولهم في عيسو العِيص وهو قليل ومثال القلب قولهم في خُسْرُو كِسْرَى وفي إيسو عيسى على ما سبق الكلام فيهِ ومثال الزيادة قولهم في پَرْعُو فِرعَوْن . وربما جمعوا بين الزيادة والقلب كما في سليمان وهو معرَّب شلومو وندر تركهم الواو بدون تغيير كما في سَمَنْدُو اسم قلعةٍ ببلاد الروم ومَقْدِشو اسم بلدٍ بين الزنج والحبشة ولا يكون هذا الا في الاعلام

على ان الصيغة قد يُتسامح فيها اذا لم يكن الاسم معرَّضاً للتكسير وذلك كما اذا كان اسم جنس جمعياً كالاهليلج والنيلوفر والآجُرّ وغير ذلك فان مفرد هذه الاسماء يكون بالهاء فتجمع للقلة جمع الاناث السالم وللكثرة بترك الهاء فلا يجب فيها ما يجب في غيرها من مراعاة الصيغة الافرادية . على ان مثل هذه الالفاظ منهم من لا يعدّها معرَّبةً بل يعتبرها باقيةً على عجمتها كما يستفاد من عبارة المزهر عن ابي حيّان على ما تقدم نقلهُ في محلهِ

ولكن على كل حال لا بدّ فيها من مراعاة المقاطع وغيرها مما سبق بيانهُ ولا يجوز فيها ما يجوز في الاعلام من بقآء صورة اللفظ الاعجميّ بمقاطعهِ فتكون على الصحيح بينَ بين (ستأتي البقية)

الصين

لما كان اكثر حديث الجرائد والاندية في هذه الايام دائراً على الحوادث الصينية بسبب الفتنة التي فغرت فاها في تلك الناحية سألنا بعض القرآء كتابة شيءٍ في جغرافية تلك البلاد وتأريخها وسائر احوالها ولا يخفى ان الكلام على مملكةٍ مثل الصين يستغرق مجلداً برأسهِ ولكنا سنجمل الكلام فيها بقدر الاستطاعة فنقول

الصين ويسميها الصينيون المملكة السماوية من اكثر ممالك الارض سكاناً تشتمل على نحو ٤٠٠ مليون من البشر وارضها تقرب من اثنيَ عشر مليون كيلومتر مربع . وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام احدها الصين الاصلية ومساحتها اربعة ملايين كيلومتر وسكانها ٣٨٠ مليوناً . والثاني بلاد منشوريا ومساحتها نحو مليون كيلومتر وفيها من السكان نحو ١٢ مليون نفس . والثالث البلاد التابعة لها وهي بلاد التُبُّت والمغول وقسم من تركستان ومساحتها نحو ستة ملايين وخمس مئة الف كيلومتر وسكانها نحو عشرة ملايين . فارضها تزيد على ربع مسطَّح آسيا بجملتها واهلها يزيدون على نصف سكانها

وموقع هذه البلاد في طرف آسيا الشرقية بين ٧٩° و ١٤٠° من الطول

الشرقي من باريز و ٢٠ْ و ٥١ْ من العرض الشمالي ويحدها شمالاً بلاد تركستان وآسيا الروسية وشرقاً بحر اليابان وبحر الصين وجنوباً مملكة انام وسيام وبرمانيا ونيبال وغرباً بنجاب وتركستان . والصين الاصلية منها واقعة بين ١١٥ْ و ١٤٠ْ من الطول الشرقي و ٢٠ْ و ٤١ْ من العرض الشمالي ويحدها من الشمال بلاد المغول ويفصلها عنها السور العظيم المشهور ومن الغرب بلاد كوكونور والتُبَّت ومن الجنوب الغربي مملكتا سيام وأنّام ومن الجنوب الشرقي والشرق المحيط الاعظم

وارض الصين كثيرة الجبال ولا سيما من جهتي الغرب والجنوب وفي جبالها ما لا ينقطع عنهُ الثلج شتآءً ولا صيفاً وفيها انهارٌ كثيرة اعظمها اثنان احدهما هوَنغ هو أي النهر الاصفر والآخر يَنغ تسي كينغ اي النهر الازرق وكلاهما يخرجان من جبال التُبَّت الشرقية ويجريان من الغرب الى الشرق ويدفعان في المحيط والاول يجري على مسافة ٣٥٠٠ كيلومتر والآخر على مسافة ٤٥٠٠ كيلومتر

ولما كان جانبٌ من هذه البلاد في المنطقة الحارّة والآخر في المنطقة المعتدلة كان هوآؤها كثير الاختلاف فهي شديدة البرد في الشمال والحرّ في الجنوب ولذلك كان فيها من الحيوان والنبات كل ما في هاتين المنطقتين . وفي جبالها اكثر انواع المعادن ففيها الذهب والفضة والحديد والرصاص والنكل والنحاس والقلزّ وهو النحاس الابيض وتكثر مناجم الفحم الحجري في الجهات الشمالية منها . وفي جبالها من الحجارة المحبَّب اي الغرانيت والبلور المعدني واليشب والحجر اليماني والرخام وغير ذلك وفيها

كثيرٌ من الزئبق

وارض الصين خصيبة في الغاية ولاهلها عنايةٌ عظيمة بالزراعة حتى يقال ان عامةّ بلاد الصين اشبه ببستان . وفي الصين كثيرٌ من انواع النبات التي لا توجد في غيرها وجبالها مكسوةٌ بالغابات والادغال وتكثر فيها الحيوانات البرية ومن حيواناتهم الفيل والقرد والذئب والثعلب وظبي المسك والاروى وحمار الوحش وغير ذلك مما يطول استقرآؤهُ . وفي بحرهم كثيرٌ من انواع السمك وعندهم صنفٌ من الغاق وهو من طير الماء يُضرّونهُ على صيد السمك فاذا أُرسِلَ عليهِ اصطادهُ وعاد بهِ الى مرسلهِ . والطير عندهم كثير وفيهِ من الاصناف الغريبة البديعة الاشكال ما لا يوجد عند غيرهم

والصينيون من السلالة الصفرآء وهم غير كبيري القامات ورؤوسهم صنوبرية الشكل ووجوههم عريضة مثلَّثة مع شخوص العظم الوجنيّ وعيونهم مستطيلة منحرفة وحواجبهم مرتفعة قليلة التقوُّس وانوفهم صغيرة عريضة العرانين وشفاههم العليا نائتة فوق السفلى وآذانهم كبيرة وهم خفاف العوارض ولا سيما اهل الجنوب منهم وشعورهم سودآء كثيفة

ومن غريب اطوارهم انهم يجلّون السِمَن ويتخذون ضخامة الجسم دليلاً على سعة العقل وفخامة القدر . ومما يرتفع بهِ شأن المرء في عيونهم ان يربّي اظفار يدهِ اليسرى ولا سيما ظفر الخنصر لان ذلك يدلّ على انهُ لا يحترف عملاً وبعضهم يبلغ طول اظفارهِ ستة قراريط فما فوقها الى قدم اما نسآؤهم فخُزر العيون مستطيلات الجفون ضئال القامات وفي بعضهنَّ جمالٌ مستحسن ومن عاداتهنَّ انهنَّ يتطلين من سن الصغر وهنَّ

يصبغن حواجبهن بالسواد ويضعن تحت الشفة السفلى وعلى رأس الذقن لطخةً من الزُنجُفر بقدر الظفر ويضفرن شعرهن فيجعلنهُ جميرةً واحدة على قمة الرأس ويزينهُ بضُمَّةٍ كبيرة من الازهار الصناعية . وبسبب ادمان التطلّي تؤثر الموادّ الصبغيـة في جلد وجوههنَّ فتذهب بلونهِ حتى انهُ لا شيء اقبح منظراً من العجوز الصينية

وهناك امرٌ آخر يزيد منظر نسآئهم غرابةً وهو مشيتهنَّ المتخلجة بسبب تصغير اقدامهنَّ على ما هو مشهور من هذه العادة في تلك البلاد فانهم من يوم تولد البنت تُجعَل قدماها في قالبٍ يضغط عليهما فيقف نموّ القدم حتى لا يكون طولها زيادة على اربعة قراريط في قيراطٍ واحدٍ عرضاً ويمنع النموّ عن القدمين يتراكب اللحم عند اسفل الساقين فيغلظ الرسغ والكعبان غلظاً فاحشاً . قيل وهذه العادة عندهم سببها الغيرة والقصد منها حبس النسآء عن الخروج والجولان لان هذا الصغر في اقدامهنَّ يجعل المشي عليهنَّ أليماً شاقاً وكثيراً ما يكنَّ بهِ عرضةً للسقوط ولذلك اذا خرجن لبسن احذيةً ذات نعالٍ من خشب يعتمدن عليها في الوطء وقلما تبلغ اطراف اقدامهنَّ الارض حذر أن يهوين الى الامام فتراهنَّ يتكفأن في المشي ولا يكدن يضبطن قاماتهنَّ الا بجهدٍ وعناء

اما المنشوريون وهم قوم العشيرة المالكة اليوم في الصين فيشبهون الصينيين كثيراً الا ان شعور عوارضهم طويلة كثيفة ونسآؤهم لا يمسخن اقدامهنَّ كالصينيات . ومما يتميز بهِ الصينيون عن المنشوريين هذه الضفيرة الطويلة التي يربيها الصينيون في قمم رؤوسهم ويرسلونها كالذيل

وتسمى بلغتهم پان ساي وهي مما اصطلحوا عليه بعد دخول المنشوريين بلادهم

وألبستهم يتخذونها من نسيج القطن او الحرير الازرق واحذيتهم من الحرير الاسود او الجلد وهم يوسّعونها جدًّا والنسآء يلبسنَ بحسب مكانة رجالهنَّ ولهنَّ ان يلبسنَ كل لونٍ ما خلا الاصفر الأُترُجّي (الكبّادي) فانهُ محظورٌ على كل احد لانهُ اللون الخاصّ بالامبراطور وعترتهِ . ولما كنَّ يرفعنَ شعرهنَّ دائمًا كان ذلك سببًا في اسراع الصلَع اليهنَّ ولذلك فالنسآء المسنّات منهنَّ يسترنَ صلَعتهنَّ بقطعةٍ من النسيج الاسود يسمينها پاوتيو فاذا كنَّ في مأتمٍ جعلنَ الپاوتيو ابيض

اما طعام اهل الصين فهو على الغالب من الارزّ المطبوخ وهو قوام اطعمتهم كسائر سكان تلك الاصقاع ولذلك تكثر زراعتهُ عندهم وهم يخلطونهُ بالبقول والقطانيّ ولحم الخنزير والطير والسمك وغير ذلك . والفقرآء منهم يأكلون الجرذان والديدان ولحوم الدواب الميتة بالمرض او الغرق . واما الاغنيآء فيستجيدون انواع الاطعمة ويكثرون الاكل للسمَن ويختارون من المطاعم كل ما اعقب قوةً كعصب الأيّل واطراف اجنحة كلب البحر وجرآء الكلاب ومناسم الدِبَبة وغير ذلك

واهل الصين يبكرون في الزواج والامر فيهِ الى اقارب الزوجين دونهما والزوجان لا يرى احدهما الآخر فاذا حان اليوم المعين للاهدآء تُجعَل العروس في محفّةٍ مزينة يقفلونها بمفتاح وتُحمَل في موكبٍ حافل ويكون مفتاح المحفّة في يد اقرب الناس اليها نسبًا فاذا انتهي بها الى بيت

الزوج دفع المفتاح اليهِ . قيل وبعد ان يعاين العروس فان لم تعجبهُ ردها الى اهلها وان اعجبتهُ ادخلها على اهلهِ فسجد كلاهما بين ايديهم ثم اكلا معاً وتناولا الخمر من كأسٍ واحدة

والطلاق عندهم جائز الا انهُ نادر واذا كانت المرأة عاقراً اتخذ الرجل عليها ضرّةً والمرأة اذا مات بعلها فلها ان تتزوج الا ان اكثرهنَّ يلبثنَ أيامى . والمرأة الصينية لا تؤاكل زوجها على مائدةٍ واحدة ولا تجلس في الغرفة التي يجلس فيها ولا يباح لها ان تظهر الا لبعلها والمحارم من ذوي قرباها . واما نسآء الامبراطور فلا يظهرنَ البتة

وللصينيين عدا ذلك عاداتٌ واطوارٌ يطول الكلام عليها فنقتصر منها على هذا القدر واما تاريخ بلادهم وما تقلب عليها من الدول والكلام على علومهم وصنائعهم ومنازعهم الدينية فسنذكر ما يتيسر منهُ في فصلٍ آخر ان شآء الله

النفس

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا

(تتمة ما في الجزء السابق)

ويلزم من ذلك اولاً ان النفس مبدأ فعّال بالذات طبعاً وعلة كاملة مطلقة ولذلك عرّفها ارسطو بانها فعل اول للجسم الحي من جهة ما يدرك الامور الكلية ويفعل الافعال الفكرية . وفعلها يكون اولاً باعمال القوى العقلية لاكتساب العلوم وتحصيل المعارف لان المعرفة لا تحصل في الذهن

بمجرد اجتماع الصور فيه وانما هي نتيجة اعمال كثيرة قامت بها النفس للحصول عليها اخصها التصور والحكم والاستدلال مع التروّي

ثانياً باعمال الحياة او المظاهر الحيوية في جميع اعضاء الجسم الحية المشتركة فيها جميع مراتب الاحياء بالحركة الذاتية حيث تكون الحركة المذكورة دليلاً على الحياة ومتى فُقدت من الجسم وانقطعت صار جماداً لا نسمة فيهِ ولا حياة

ثالثاً بالاعمال الادبية او الخارجية سوآء كانت مفيدة ام مضرة صالحة ام قبيحة فان صلاحها وقبحها ينسبان لنفس فاعلها وهو المسؤول عنها ديناً وشرعاً وعقلاً اذ لا يُنسب فعلٌ الا لفاعلهِ المباشر لهُ قصداً وتكون من ثمَّ سبباً للانفعالات النفسانية والحركات الغريزية التي تنشأ عنها الاهوآء والاميال والعواطف النفسانية من عقلية وحسية

ولا يشترط لها في افعالها المذكورة ما يشترط لفعل الاجسام من وحدة الزمان والمكان والموضوع فان كلام الكاتب والخطيب يؤثر في نفوس كثيرين اثراً يختلف فيهِ الافراد مع ان العلة واحدة لدى الجميع ومن منا يسمع بانتصار الانكليز في هذه الايام ولا ينتقل ذهنهُ الى ما نالهم قبل ذلك من البوير بالرجوع الى الماضي او الى ما تصير اليهِ هذه الحرب في مستقبل الزمان على خلاف حكم الانتقال في الاجسام فسيان عند النفس الانتقال الى الزمن الماضي او الآتي كما انهُ لا فرق عندها في قرب المكان وبعدهِ

والنفس هي المحرّك للجسم حركة ذاتية اولية اذ تحرك فيهِ الدم

والتنفس والقلب واليد والرجل وكل الجوارح وهي تدفع الجسم الى السعي في طلب الرزق الى اقصى البلاد وتحريك غيرهِ من الاجسام في كل جهة وبها ندفع السفن في البحار وقُطُر البخار في البرّ ونرفع الصروح العالية وننقل الاخبار بسرعة البرق وغير ذلك من الافعال المادية التي استقل بها الانسان وحدهُ دون سائر الاجسام

ويلزم ثانياً انها علة حرة كاملة اذ لا سلطان عليها في افعالها ولا تقدم على واحد منها الا باختيارها لهُ وان كان فيهِ مشقة عليها . والحرية امرٌ وجداني لا يحتاج الى بيان في الانسان يثبتهُ في كل فعل من افعالهِ التي يتصرف فيها ويلوم نفسهُ عليها اذا كانت قبيحة ويسرّ بها اذا كانت حسنة فلو لم تكن النفس حرّة فيما تفعل من صلاح او شرّ لما كان اثمٌ ولا عقاب ولا كان مدحٌ ولا جزآء اي لولا الحرّية واختيار الافعال لكانت افعال الناس معلولاتٍ مختلفة حرّة لعلةٍ واحدة مضطرّة وهو اشبه بقول من يقول بوجود معلولاتٍ بلا علة . هذا وان العقلآء مجمعون على ان صاحب الفضل من يفعلهُ عن قصدٍ واختيار لا بالطبع والاضطرار والمذنب من اتى الذنب عن سوء قصد مختاراً لهُ لا مكرهاً عليهِ فان المكره لا يلام على شرّ ولا يحمد على خير

وثالثاً ان ليس في الانسان سوى نفسٍ واحدة بالذات وحدة تامة جوهرية لا يقع عليها تجزُّؤ ولا انقسام بالاطلاق ولا تقبل التحوّل او التغير ولا الزيادة او النقصان ولا الانحطاط او الارتقآء كالاجسام الجامدة او الحية لانها لو كانت تتحول او تتغير او تتبدل في الزمان لما بقي في

الانسان شيءٌ ثابت يستعين بهِ على حفظ ما يدرك وذكر ما يحفظ في الزمان السابق اي ان تحوُّل النفس وتغيرها مناقض لكونها واحدة في كل افعالها ومانع لحفظ مدركاتها وذكرها وقياسها التابع بالسابق وغير ذلك لاني احكم على ما عرفت بنفسي كما اني اذكر ما عرفت بنفسي لا بغيري فان هذه الافعال العقلية البسيطة تقتضي اتحاد الفاعل في كلٍّ منها والا فُقِد الجامع بينها

نعم لو كان الانسان يتحوَّل ويتغير كلهُ نفساً وجسماً لما كان لهُ حقوق ولا عليهِ واجبات شخصية ولا كان يُسأل عما فعل من شرّ او خير في زمانٍ سابق واما ما يقال من انهُ ذو نفسٍ حية وحساسة وناطقة وعاقلة وامارة ولوامة فهو للدلالة على قواها وافعالها لا على اختلاف الذات والتعدد فيها

ورابعاً انها خالدة تبقى بعد موت الجسد ولا تموت اذ لا يؤثر فيها ما يؤثر فيهِ من اسباب الموت والفناء ولا يقع عليها تغيير ولا زوال ولا ملاشاة فان العدم لا يرجع اليهِ شيءٌ وانما يتحول الجسم من شكلٍ الى شكل الا ان النفس لبساطتها وتجردها عن المادة والتركيب تسلم من ذلك ولا تخضع لناموس المادة المذكور ومن ادلة ذلك في الخارج عزة نفس الانسان وسعة آمالهِ المستقبلة وحبهُ البقاء ودوام الحياة الى الابد ولا علة لهُ في ذلك الا كون نفسهِ خالدة لا تزول بزوال العمر ولا تموت بموت الجسد

وخامساً انها متحدة بالجسد اتحاداً جوهرياً طبيعياً اذ لا يستقيم لها حال الا بهِ لانهُ يساعدها على ادراك المحسوسات والافعال الخارجة ولا يستقيم حال الجسد الا بها لانها تحييهِ ويُسنَد اليها ويقوم بها وتقيم فيهِ وبها يرقى الى رتبة الكائنات العاقلة فوق الجماد والحيوان وبها يعمل اعمال

العاقل الحكيم ويبلغ الفضل والكمال فهو ملازم لها وهي ملازمة لهُ لا يمكن ان ينفصل احدهما عن الثاني مدى الحياة وهما متحدان كمال الاتحاد بالافعال بحيث يصح نسبة فعل كلٍّ منهما للانسان بطريق الاجمال فيقول ضربت او ضربت بيدي وفهمت او فهمت بعقلي

وسادساً انها روحية بسيطة فلا حيّز لها لانها لا تشغل مكاناً مخصوصاً من الفراغ وانما هي في الجسد المتحدة بهِ تحييهِ وتبدو قواها وافعالها فيهِ دون ان تشغل مكاناً فارغاً فيه ولما كانت قواها العقلية والحيوية تبدو افعالها في مراكز معينة من الجسم يقال مجازاً أن مقرّها في القلب مثلاً لانهُ مركز الحركة الدموية التي تتوقف عليها اعمال الحياة او في الدماغ لانهُ مركز الحس العام وباقي الحواس الباطنة فاذا تأثرت العين من شبحٍ قد اثر في اليد باللمس وسُمع صوتهُ بالاذن واثرت رائحتهُ بالشمّ نشعر بكلٍّ من ذلك حالاً بلا انتقال من مكان الى مكان لان النفس في كل الجسم وكلها في كل جزء منهُ تفعل فيهِ او تحييه

والنتيجة ان نفس الانسان روح متحد بالجسد وان شئت قلت جوهر روحاني مجرد عن المادة والتركيب يختلف كل الاختلاف عن الاجسام وهي مبدأ عاقل حساس حيّ فعال عامل بالذات حرٌّ بذاتهِ متصرف في افعالهِ الادبية لا يقبل الزيادة والنقصان ولا الانقسام والتعدُّد ولا التحوُّل بالانحطاط الى ما هو ادنى او الارتقآء الى ما هو أعلى وانما هي واحدة ابداً لا تتغير بالذات تحل في الجسد وتحييهِ ولا تشغل جزءًا من الفراغ الذي يشغلهُ هو ولا تظهر للعيان الا بافعالها وما هي الا ذات الانسان

المرّاش ومينار

(تابع لما قبل)

(ص ٧٣) فمضى أُميّة الى رذمير (ملك الجلالقة) فاصطفاهُ رذمير واستوزرهُ وصيّرهُ في جملتهِ » . فقرأ الاستاذ « في حملتهِ » وطبع وترجم هكذا

le choisit pour vizir et lui fit *porter le poids des affaires*.

(ص ٩٢) « فيممَت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار المضيئة » . وفي (ص٩٣) « فنزلوا الوادي مطمئنين مستبشرين بالماء وبما اضاء الوادي من نور النبوّة » . ففهم الاستاذ قولهُ « المضيئة » بمعنى الماضية ولم يتنبه الى انهُ من الاضاءة كما يُستدَلّ عليهِ صريحاً من الموضع الثاني فقال في الترجمة

Les amalécites se dirigèrent vers le Téhema pour y chercher de l'eau, des pâturages et leurs *anciennes* habitations.

(ص ٩٧) ذكر المسعودي هنا زيارة ابرهيم لابنهِ اسمعيل في مكة ثانيةً وانهُ لم يجدهُ لكن كنّتهُ الجرهمية رحّبت بهِ وقدّمت لهُ حجراً حتى يجعلهُ تحت قدمهِ فاثّرت قدماهُ في الحجر فلما رأت ذلك الجرهمية اكبرتهُ فقال لها ابرهيم « ارفعيهِ فسيكون لهُ شأنٌ ونبأٌ بعد حين ثم قال لها اذا جاء اسمعيل فقولي لهُ ان ابرهيم يقرأ عليك السلام » الخ . الا ان استاذنا لم يفهم العبارة من قولهِ « فسيكون لهُ شأنٌ ونبأ بعد حين » اي لم يفهم معنى النبأ فقطع الجملة عند قولهِ « شأن » وجعل « نبا » ابتداء جملةٍ ثانية

وجعل اللفظ فعلاً ماضياً من نبا ينبو بمعنى فصل وابتعد وترجم هكذا

. . . Mets-la à part, dit-il à sa belle fille, car plus tard on la vénérera. Au bout d'un certain temps *il se retira* et dit: Lorsque Ismaïl etc.

(ص ١٠١) « فبعث الله على جرهم الرُعاف والنمل وغير ذلك فهلك كثيرٌ منهم » فتوهم الاستاذ ان الرعاف هو الرعيف اي السحاب يكون في مقدم السحابة فترجم des nuages rapides.

(ص ١٠٢) « وكنا ولاة البيت من بعد نابتٍ
نطوف بذاك البيت والخير ظاهرُ »

فقرأ استاذنا الحيّز وترجم

et nous accomplissons *ostensiblement* les tournées autour du temple et de son *enceinte*.

(ص ١٣٥) اطال المسعودي كلامهُ هنا في مدح علم التاريخ وقال فيما قالهُ « لولا تقييد العلماء خواطرهم لبطل اول العلم وضاع آخرهُ » فقال المترجم

Si le sage ne triomphait, par l'*application de ses facultés* des caprices de la fortune, *la science s'écroulerait de fond en comble*.

وكان الوجه ان يقول

Si le sage n'enregistrait, contre les ravages des siècles, les faits dont il a connaissance, la science etc.

(ص ١٦٠) روى المسعودي لدرّاك العبدي

« تراني ان قطعتُ جبال قيسٍ وخالفتُ المرور على تميمِ
لأعظم فجرة من ابي رغالٍ واجورَ في الحكومة من سدومِ »

هكذا روى الاستاذ البيت الاول والصواب « واني ان قطعت » بدليل قولهِ في صدر البيت الثاني « لأَعظم فجرة » وهو خبر انَّ ولذلك دخلت عليهِ اللام . وسدوم المذكور في البيت الثاني هو اسم قاضٍ اشتهر بالظلم ولكن هذا غاب عن علم الاستاذ فترجم هكذا

Tu me regarderas comme un traitre plus criminel que Abou - Rigal , et plus injuste que Sadoum (*Sodome*) dans l'exercice de mon *pouvoir*.

ولا دخل لقوم لوط هنا ولا يراد بالحكومة سوى ما يريدهُ الافرنج بقولهم rendre justice .

(ص ١٨٧) روى المسعودي هنا قول ابن كلثوم

« عدلتِ الكأس عنا امَّ عمرٍو　　وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثة أُمَّ عمرٍو　　بصاحبكِ الذي لا تصحبينا »

فلم يفهم الاستاذ معنى البيت الثاني فترجمهُ هكذا

Mère d'Amr, *est-ce un mal d'avoir* trois convives ?

ولينُظَر اين هذا المعنى من مراد الشاعر

(ص ٢٠٥) قال المسعودي « وقد كان النعمان قتل عديّ بن زيد العباديّ وكان يكتب لكسرى ابرويز بالعربية ويترجم لهُ اذا وفدت اليه زعماء العرب » . وهذا يفيد ان عدياً كان كاتب كسرى ومترجمهُ الا ان الاستاذ لم يفهم هذا المعنى فترجم هكذا

Nòmân avait tué Adi . . . . qui traduisait en persan à la cour de Kesra les dépèches rédigées en arabe que les envo.és de Nòmân portaient au roi de Perse.

وليس هذا مراد المسعودي كما لا يخفى وانما اراد المسعودي ان يقول ان عدياً كان يكتب بالعربية ما يمليهِ عليهِ كسرى بالفارسية كلما دعتهُ الضرورة الى مخاطبة عاملهِ النعمان او غيرهِ من العرب وانهُ كان ايضاً يترجم لكسرى بالفارسية ما تقولهُ لهُ زعمآء العرب بالعربية كلما وفدوا اليهِ

(ص٢١١) ذكر المسعودي هنا حديث حرقة بنت النعمان (او اختهِ) مع نسآء المدينة وقد لقينها خارجةً من عند سعد (وهو الامير) «فقلنَ لها ما فعل بكِ الامير قالت حاطَ لي ذمتي واكرم وجهي انما يكرم الكريمَ الكريمُ». وهذا الكلام بيت شعر لكنهُ ورد في النسخ التي نقل عنها الاستاذ هكذا مدرجاً بين السطور من غير فصل يدل على انهُ شعر الا ان الاستاذ تنبه هذه المرة الى انهُ شعر فوضع بعد لفظة «قالت» علامةَ ردّ القارئ بها الى الحاشية ثم قال في تلك الحاشية «انهُ من المحتمل ان يكون ذلك الكلام شعراً لا نثراً وانهُ من المحتمل ايضاً ان يكون كلاماً موزوناً قد أُخرج مخرج الامثال» فافسد في آخر الجملة ما اصلحهُ في اولها ثم قال «لم تختلف النسخ في الرواية الا في لفظٍ واحد وهو «انما» فقد جآء في واحدةٍ من تلك النسخ «وانما» (بزيادة الواو) لكن ذلك لا يكسر الوزن اذا كان البحر مما يقال لهُ الخفيف» فكيف لا ينكسر الوزن بزيادة الواو. وهذه ايضاً مرةٌ اخرى تصدى فيها الاستاذ لتصيح المتن فاخطأ

(ستأتي البقية)

فوائد

وَقود المسافر — اخترع بعضهم تركيباً للوقود يستعمل في السفر لاغلآء القهوة وتسخين الطعام ونحو ذلك ويُتَّخذ بأن يُصَبّ نحو ١٠ سنتيلترات من الكحل (السبيرتو) في قارورة تسع ضعفي هذا المقدار ثم يسخَّن الكحل في حمّام ماريّا حتى تقرب حرارتهُ من ٦٠° ثم يضاف اليهِ ٢٨ الى ٣٠ غراماً من بُشارة صابون مرسيليا الابيض التامّ الجفاف ونحو غرامين من صمغ اللك وتحرَّك القارورة بما فيها بضع دقائق حتى يتمّ الذوبان . وبعد ذلك يُرفَع المزيج ويُصَبّ في حُقَق من الصفيح فاذا مُلئت غُطّيت وتُركت حتى تبرد فتكون كل حقةٍ منها مستوقداً صغيراً يُحمَل في الجيب . وعند ارادة الاستعمال يُكشف غطآؤها ويُشعَل المزيج بعودٍ من الثِقاب ثم يوضَع عليها ما يراد تسخينهُ او اغلاؤهُ . وقد شاع استعمال هذا النوع من الوقود في فرنسا والمانيا وسويسرا

وصمغ اللك يمكن ان يُستغنى عنهُ هنا وانما الغرض منهُ منع الكحل من التبخر مدة اطول . واخيراً فان الصابون الذي يبقى في الحقة بعد احتراق الكحل يمكن ان يُنتفع بهِ في غسل ايدي الطبّاخ وغيرهِ

اتخاذ الخمر البيضاء من العنب الاحمر — ذكرت احدى المجلات الفرنسوية عن بعض ذوي التجارب في هذا الشأن ان اكسيجين الهوآء يزيل لون العصير المتخـذ من اكثر اصناف العنب الاحمر لكن بشرط ان

يكون ذلك قبل الاختمار . والطريقة فيه ان يستوقف اولاً اختمار العصير بالتبريد ويُترَك والحالة هذه في الهوآء الى ان يذهب لونهُ وبعد ذلك يصفّى عن لبابه وسائر ما فيه من الفضلات الجامدة ويترَك حتى يختمر . ولا بد ان تكون تصفيتهُ قبل التخمير لانهُ اذا تُركت فضلاتهُ فيه لم يلبث ان يتاكسد فيتلوَّن كما لو خُمّر ابتداءً

آثار ادبيّة

كتاب البصائر النَصيرية — هو الكتاب المشهور في علم المنطق تصنيف الشيخ الامام القاضي الزاهد زين الدين عمر بن سهلان الساويّ ولا حاجة الى وصف هذا المؤلَّف الجليل مع استفاضة ذكره بين ارباب هذا الفن واجماع الواقفين عليه انهُ افضل ما أُلّف فيه من الكتب التدريسية واحسنها نسقاً وترتيباً الا ان نسخهُ كانت عزيزة نادرة ومن كان في حوزته نسخةٌ منها جمع عليها يد الضنانة حتى برز في هذه الايام في حُلّةٍ من الطبع انيقة مطرَّزة الحواشي بقلم حضرة الامام العلامة صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقد اختارهُ بسديد رأيه لتدريس هذا العلم في حلقات الجامع الازهر الشريف وادنى منالهُ بما علق عليه من الشروح الوافية والايضاحات الشافية . فجزاهُ الله خير الجزاء على ابراز هذا الكنز النفيس من حجابه وأجزل النفع به على يده ليُجزل به جميل ثوابه

فكاهات

رواية

تحت ظل الراية (١)

كان لاحد اشراف الانكليز ولدٌ وحيد رزقهُ الله اياهُ واعطاهُ معهُ غنىً وافراً وثروةً واسعة فكان ينظر الاب الى ابنهِ نظرة انسانٍ الى سبب سعادتهِ وعنوان افتخارهِ . ولما ترعرع الفتى وكان اسمهُ سسل ارسلهُ والدهُ الى المدرسة ليتلقى فيها العلوم فنبغ بين اقرانهِ وكان ميالاً الى قرآءة الروايات فكان يطالعها كلما سمح لهُ الوقت مطالعة المنتقد البصير ويشبع افكارهُ من وقائعها وتواريخها ولغتها . وكان يرى في اكثر الروايات التي طالعها من الاخبار عن اعمال ربات الخدور وما يُلبسهنَّ الراوون من ضروب الخيانة والغدر ما جعلهُ ينفر من ذكر الزواج ويتحذر من الوقوع في اشراك النسآء . غير انهُ ما عتَّم ان تلطف معهُ هذا النفور لانهُ رأى ان لا بد للانسان من شريكةٍ تشاطرهُ الحياة ولكنهُ يجب عليهِ ان ينعم النظر في انتقآئها ويجتهد في تربيتها على ما يريدهُ من حسن السيرة وطهارة السريرة . ولما انتهت ايام سسل المدرسية عاد الى بيت ابيهِ مكللاً بغار النجاح فتلقاهُ والدهُ بمنتهى الحفاوة والسرور وأدب مأدبةً حافلة دعا اليها كثيرين من

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اصدقائهِ اكراماً لرجوع ولدهِ فائزاً وكان سسل يسير بين الضيوف بوجهٍ باش ولسان طلق فيكرم الشيوخ ويلاطف السيدات ويحادث الفتيات وهو يرشقهنَّ من تحت كلماتهِ بسهام النظر ليرى ما انطوينَ عليهِ وفي صدرهِ آمال . فأَخذ الجميع بحذقهِ وجمالهِ وعذوبة حديثهِ ولم يبقَ بين الحضور من لم يمل بكليتهِ الى سسل ويفتتن بحسن آدابهِ

وعلم والد سسل ان ابنهُ ميال الى اختيار زوجةٍ وكان هذا ما يتمناهُ فجعل يكثر من المآدب والاجتماعات في بيتهِ الى ان وقع اختيار سسل على فتاةٍ تدعى جوليا دي منتاغ من اسرةٍ عريقةٍ في النسب والغنى وكانت هذه الفتاة في التاسعة عشرة من عمرها جميلة المنظر حسنة الاخلاق كاملة الصفات . فلما اظهر سسل ميلهُ اليها كان ذلك من اكبر دواعي السرور عند والدهِ ولم يكن ما يعوق سسل عن اتمام رغائبهِ فلم يمضِ الوقت الكثير حتى اقترن بجوليا وعقب اقترانهُ بها شهران او اكثر من الاعياد المتواصلة واقامة حفلات السرور والابتهاج

وبعد ان مضى على ذلك مدةٌ اخرى دعا سسلَ والدهُ وقال لهُ يا ولدي قد ازف الوقت الذي فيهِ يجب عليك ان تريح والدك الشيخ وتكفيهُ عناء الاهتمام باشغالهِ واملاكهِ فاريد ان تصحبني من الغد الى محل الشغل لتطلَّع على كلياتهِ وجزئياتهِ حتى متى شآء الله ان ينقلني من هذه الحياة تكون على تمام الأهبة للقيام بما يترك على عاتقك من الاعمال . ورأى سسل كلام والدهِ صواباً فاجابهُ الى ما اراد وفي اليوم التالي تبع والدهُ الى محل شغلهِ فقضى معهُ ساعتين ثم رجع الى بيتهِ عند الظهر وكانت جوليا

تنتظرهُ في الحديقة فضمها الى صدرهِ ثم دخل بها المنزل ودامت الحال على ذلك نحو سنتين من الزمان . وفي ذات يومٍ عاد سسل من محل شغله وبلغ باب الحديقة فلم يرَ زوجتهُ كالعادة فقلق ودخل حيران ولما بلغ القصر توجه توًّا الى غرفتها ولما بلغ الباب رأى زوجتهُ جالسة على مقعدٍ في غرفتها والى جانبها فتىً قد طوَّق خصرها بذراعهِ والقت رأسها على صدرهِ وهو يقبّلها قبلات الوله والهيام . ولو نزلت صاعقةٌ على رأس سسل لما اثرت فيهِ كذلك المنظر فعاد الى غرفتهِ من غير ان يشعرا بهِ وقد اسودت الدنيا في عينيهِ واعترتهُ نوبةٌ عصبية فاصبح كالمجنون وجعل يلطم رأسهُ بجدران الغرفة وينتف شعرهُ الى ان سقط على الارض متلاشي القوى . ولما افاق جلس هنيهةً يفكر فيما عساهُ ان يفعل ورأى ان شرفهُ قد اهين وان لا سبيل الى محو ما لحقهُ من العار الا بالانتحار وللحال ظهر على وجههِ تبسمٌ ابليسيّ فاسرع الى غدارتهِ وبعد ان صوبها الى رأسهِ رمى بها الى الارض وقال كلاّ ما انا بجبانٍ ولا ينتحر الا الجبان والدنيا واسعة فالوداع يا وطني الوداع يا انكلترا قد مات عنكِ سسل ودُرست آثارهُ اما انا فسأحيا ما بقي لي من الحياة تحت غير هذه السماء لارى ما خبأهُ لي الدهر بعد هذا من المصائب المرّة . ولما قال ذلك قرع جرس غرفتهِ فاتى الخادم فقال لهُ انني ذاهب في بعض اشغال عظيمة الاهمية جدًّا وربما لا ارجع هذا المساء واذ كان لا يمكنني التأخر دقيقةً واحدة لم اتمكن من مقابلة مولاتك فأبلغها ذلك بعد ذهابي حين تأتي الى غرفة الطعام . ثم انهُ دسّ في جيبهِ بعض النقود والقراطيس المالية وخرج . ورأى الخادم في وجه مولاهُ ما لم يرهُ

قبلاً فدهش وجعل يفكر فيما عساهُ ان يكون هذا الامر الشديد الاهمية

وانتبهت جوليا بعد حين انهُ قد مضى موعد رجوع زوجها فخرجت الى الحديقة وانتظرت حيناً فلم ترَ احداً ثم عادت الى القصر وسألت الخدم هل رجع سسل فاخبرها الخادم بما اوصاهُ مولاهُ فاغتمت جدًّا وقالت وهل من الممكن ان اشغالهُ مهما كانت مهمة تمنعهُ من التكرم عليَّ بنظرةٍ واحدة قبل خروجهِ فلا بد ان يكون في الامر سرٌّ لم ادركهُ ثم تساقطت عبراتها فعادت الى غرفتها وجلست تبكي ولم تذق القوت الى المسآء . وكانت كلما هب النسيم فحرك الاغصان تثب الى باب الغرفة ظانةً ان سسل قد عاد وحين لا تجدهُ تعود الى البكآء وقضت ليلتها على مثل تلك الحالة الى مسآء اليوم الثاني . ولما لم يرجع سسل تحققت ان في الامر داهيةً ومصيبة عظيمة فذهبت الى حميها واخبرتهُ بالواقع فتحير الآخر وقضيا اياماً في البحث عن سسل فلم يوقف لهُ على اثر . ولما اعيتهما الحيلة سلما الامر الى الله ولبثا ينتظران من يومٍ الى آخر سماع شيءٍ عنهُ

اما سسل فخرج من قصرهِ وهو لا يدري اين يذهب ورأى امامهُ قطاراً فركبهُ واوصلهُ الى المينآء وصادف هناك سفينةً مسافرة الى كاله فركبها وما لبثت الا قليلاً حتى اخذت تمخر عباب البحر فوقف سسل على ظهرها وهي تبتعد بهِ عن شواطئ انكلترا واخذ ينظر الى مسقط رأسهِ وفي صدرهِ غليان المرجل . ولما بلغ كاله خرج الى البرّ وركب القطار فنقلهُ الى باريس ومنها الى مرسيليا . وقطع سسل كل هذه المسافات وهو غير عالم بوجهتهِ ولا يدري ماذا يفعل ولم يذق قوتاً ولا اخذهُ كرًى . فلما بلغ

مرسيليا نزل من القطار ورأى امامهُ مطعماً فدخل وطلب بعض القوت فاكل ثم ادركهُ النعاس فالقى رأسهُ على المائدة ونام نوماً ثقيلاً . وكان الزائرون يدخلون ويخرجون وهو لا يشعر بهم ورأى صاحب المطعم ذلك فعلم ان الرجل مجهودٌ من التعب فلم يقلق راحتهُ وبقي سسل نائماً الى نصف الليل واذ ذاك افاق بغتةً على صوت زمرةٍ بالقرب منهُ يشربون ويطربون فاعار اذناً صاغية فعلم انهم من الجنود الذين صدرت لهم الاوامر بالسفر الى بلاد الجزائر حيث دارت رحى الحرب . وكأن قوةً جديدة شعر بها في صدرهِ فانتصب واقترب اليهم فحياهم باللغة الفرنسوية فاجابوهُ وجلس اليهم يسألهم عن الحرب وعلم انهم سيسافرون في الغد الى الجزائر فاظهر ميلهُ الى التطوع معهم ثم امر لهم بشراب ورأوا من كرمهِ ما حببهُ اليهم فوعدوهُ ان يسهلوا لهُ الامر لدى قائدهم . ولما كان الغد توجه سسل الى قائد الفرقة وعرض عليهِ التطوع تحت رايتهِ فتعجب ذلك من انكليزي يود الانتظام في سلك الجنود الفرنسوية ولكن الحاح سسل ورفقائهِ اقنع القائد فقبل طلبهُ وعينهُ من جملتهم . وفي منتصف النهار اقلعت الباخرة من مرسيليا باولئك الجنود وكلهم يتشوق الى الوصول الى ساحة الوغى واكثرهم شوقاً سسل . وكان يجتهد في نسيان ماضي حياتهِ ما امكن ولكن لم تبرح من وجههِ امائر الغمّ والاكتئاب . وكان لا يحب ان يطلع احداً على اسمهِ فكانوا يلقبونهُ بالانكليزي ويقولون لا لذة لنا الا بوجود الانكليزي فهو آية السرور ولكنهُ يجتهد في اخفاء سرٍّ عميق نظنهُ الباعث على طردهِ من وطنهِ ومجيئهِ الى هنا

ولما بلغت هذه الفرقة بلاد الجزائر انضمت الى الجيش الاكبر وأُخبر القائد العام ان بصحبتهم فتىً انكليزيًّا قد تطوع في الجيش فاستدعاهُ القائد وكلمهُ فرأى فيهِ نخوةً وعظمةً ونفساً ابية فاضمر لهُ الاهانة والاحتقار اما سسل فاحسن القيام بما عُهد اليهِ وحافظ على واجبات الجندية فلم يدع عليهِ لاحدٍ سبيلاً وزاد في حسن صفاتهِ سكوتهُ المستمرّ فكان رؤساؤهُ ورصفاؤهُ يحبونهُ جدًّا ما عدا القائد كما ذكرنا . اما في الوقائع فاظهر سسل شجاعةً نادرة وكان يرمي بنفسهِ في اشد مواقع القتال خطراً وهو يتمنى التخلص من هذه الحياة وبقيت الحالة على ذلك مدة ثماني سنوات . وكان في جيش الفرنسويين فتاةٌ يقال لها سيجرت ادَّعت انهُ أُوحي اليها مساعدة الجيش فرافقتهُ الى الجزائر وكانت لا تكل من الخدمة فتارةً تراها في المستشفى تعالج الجرحى وتسير بين المرضى كملاكٍ طاهر وطوراً تراها ممتطيةً صهوة الجواد تحرض الفرسان على الهجوم وهي في مقدمتهم لا يخيفها العدوّ ولا ترهب الموت . وكانت سيجرت قد احبت سسل لما رأت فيهِ من كرم الاخلاق والاقدام في ساحة الوغى غير انها كانت تنفر منهُ لانهُ انكليزي فلم تكن تكلمهُ البتة . وفي ذات ليلةٍ كان سسل يسير بجوادهِ للحراسة خارج المعسكر وكان متشتت الافكار فما شعر الا وقد ابتعد عن الخيام واوغل في القفر وما انتبه لنفسهِ وهمَّ بالرجوع حتى سمع صوت جلبة وصياح فهمز جوادهُ وفي اقل من لحظةٍ بلغ المكان فرأى سيجرت والى جانبها فارس ليس من الجنود وقد اطبق عليهما ستة من فرسان العدو فحمل سسل عليهم حملة الاسد ففرق شملهم وقتل اثنين منهم ثم اتبعهما

بثالث فهرب الباقون

ولما انتهت المعركة تقدمت سيجرت تشكر سسل على انقاذها ثم تقدم رفيقها ايضاً فلما تفرس فيهِ سسل اذا هو نفس الفتى الذي كان عند زوجتهِ في ذلك اليوم المشؤوم وكأن قوةً كهربآئية حركتهُ فهمز جوادهُ وسار كالبرق الخاطف راجعاً الى المعسكر تاركاً سيجرت ورفيقهـا في حيرة من هذا الفعل . ولما بلغ محل حراستهِ ترجل عن جوادهِ وجلس على صخرةٍ وكلهُ افكار وتخيلات وبعد ذلك قدمت سيجرت وحدها وكان حبها لسسل يتزايد ولا سيما بعد هذه الحادثة الاخيرة فلما رأتهُ ترجلت وتقدمت اليهِ قائلةً اني اكرر شكري لهمتك ايها الانكليزي لانقاذك اياي من الموت وعسى ان اتمكن يوماً من وفآء هذا الجميل . قال سسل وكانهُ لم يسمع شيئاً من حديثها بالله ايتها الفتاة من هو الرجل الذي كان برفقتكِ الآن . قالت هو رجلٌ انكليزي نظيرك ومن الأُسَر الغنيـة جدًّا قدم مع شقيقةٍ لهُ للسياحة ورآني في هذا المسآء خارجة كعادتي لمشارفة العدوّ فكلمني وجعل يسألني عن الجنود وسألني هل تطوع احدٌ من الانكليز في هذه الحرب فاخبرتهُ انهُ لم يأتنا من هذه الامة الا واحد . ثم افضنا في الحديث فلم نشعر الا وقد ابتعدنا عن طريقنا واصبحنا بين اولئك الاعدآء فالشكر لهمتك على انقاذنا منهم . وكان سسل يعجب من قدوم رجل انكليزي وشقيقتهِ بقصد السياحة في تلك النواحي وفي مثل تلك الايام ثم من سؤالها عمن عساهُ ان يكون قد تطوع من الانكليز واراد ان يبعد هذه الافكار عنهُ غير انهُ رأى فيها غرابةً وموضعاً للتفكر . واستفهم من سيجرت عن

محل وجود هذا الرجل فاخبرتهُ عن المحل كما علمتهُ من الرجل نفسهِ

فلما كان الغد انتهز سسل فرصة راحتهِ من نوبة الحراسة فركب وتوجه الى المحل حسبما افادتهُ سيجرت فرأى سرادقاً فخيماً وحولهُ الخدم والحشم فتقدم الى احدهم وبعد ان سلم عليهِ ولاطفهُ سألهُ عن اولئك السياح فقال الخادم اننا في حاشية الكنت فيليب دي منتاغ وشقيقتهِ الكنتة جوليا . فلما سمع سسل اسم منتاغ وجوليا شعر ان الارض تموج بهِ ولكنهُ ثبَّت جنانهُ وقال للخادم واين هما الآن . قال قد خرجا للنزهة ولا يعودان قبل منتصف الليل . فقال سسل للخادم انني اعرف اناساً بهذا الاسم ولكنني لست متحققاً هل الكنت وشقيقتهُ هما اللذان اعرفهما فهل لك ان تساعدني على طريقة اتمكن بها من رؤيتهما بدون ان يراني احد ولك مني ما تحبّ . ولما قال هذا اخرج من جيبهِ بعض النقود ودفعها الى الخادم فتبسم الخادم وقال ان ذلك من اسهل الامور فان غرفتي بلصق غرفة الكنتة وانا خادم غرفتها فتعالَ معي . فربط سسل جوادهُ الى ناحيةٍ ودخل مع الخادم وكان في اثنآء انتظارهِ على احرّ من الجمر . واذ قارب انتصاف الليل اخبرهُ الخادم ان مولاتهُ قد جآءت وكان في جدار الغرفة خرق صغير فوضع سسل عينهُ ونظر فرأى زوجتهُ بعينها وهي مرتديةٌ ثياباً سوداء وعلى وجهها اثر الحزن وقد استندت على ذراع الفتى الذي ذكرناهُ سابقاً . اما سسل فقطع تنفسهُ وشخص ببصرهِ واصغى بكل قوى نفسهِ فسمع الشاب يقول والى متى هذا الحزن يا شقيقتي فانهُ ان كان زوجكِ لا يزال حياً فلا بد من ان نصادفهُ وان كان ميتاً فالحزن لا يرجعهُ

فسكّني روعكِ . فقالت جوليا بصوت الحزين الاسيف هذه هي السنة الثامنة وانا انشدهُ في جميع انحاء الارض فلم اقف لهُ على اثر افلا يحق لي ان احزن وانوح . قال الفتى ولكنني اخبرتكِ بما حدث ليل امس وما ادرانا ان لا يكون هذا الفتى الذي خلصني من الموت هو نفس زوجكِ سسل وسأجتهد غداً في البحث عنهُ وفي ظني اننا هذه المرة قد ظفرنا بضالتنا . وعلم سسل ان الفتى الذي كان قد رآهُ مع امرأتهِ حين هجرها هو اخوها فندم على ما فعل وايقن انهُ كان مخطئاً في حقها فهمّ ان يدخل عليهما ويستغفرها عما جنى عليها ثم قال في نفسهِ ولكن بايّ وجهٍ اقابلها وبماذا اعتذر اليها عن تهوُّري وتسرعي في ظني وتركي لها كل هذه المدة في العذاب . لا لا ان سسل قد مات وما انا الآن الا جنديٌّ يحارب تحت الراية الفرنسوية في شمالي غربي افريقيا ليس الا . وللحال نهض فركب جوادهُ وعاد من حيث اتى وكان يسير على غير هدى حتى بلغ المعسكر واذا بالقائد العام قادم ومعهُ اركان حربهِ فلما رأى سسل عائداً قبيل الفجر اتخذ تلك الفرصة لصب جام انتقامهِ على رأس المسكين فامرهُ بالوقوف فوقف وحيّاً . فقال القائد اين كنت ايها الانكليزي في مثل هذه الساعة . قال لم يكن عليَّ واجبات اليوم فذهبت لزيارة بعض الاصدقاء على مقربةٍ من هنا . قال ومن هم اولئك الاصدقاء . قال ليس لك ان تعرفهم . قال بل اعرفهم اذا صفعتك بقفا هذا الغمد . قال ليس لك ان تفعل ذلك ولا اقل منهُ بدون عقد مجلس حربي لمحاكمتي اذا كنت مخطئاً . فبلغ الغيظ من القائد وامتشق حسامهُ وهجم على سسل ولكنهُ قبل ان يرفع يدهُ بهِ وثب سسل اليهِ

ولطمهُ لطمةً اطارت السيف من يدهِ واوقعتهُ على الارض ثم سار سسل بجوادهِ كانهُ لم يحدث شيء ٠ وفي ذلك النهار تألف مجلس عسكري برئاسة القائد العام فحكم على سسل بالاعدام ثم ارسل المجلس الحكم مع رسولٍ خاصّ الى باريز للتوقيع بانفاذهِ وألقي سسل في السجن

وعلمت سيجرت بما حدث فصممت على السعي في خلاص سسل فتوجهت اليهِ واخبرتهُ بقصدها وسألتهُ ان يعطيها اسم أُسرتهِ لتستعين بها على انقاذهِ فابى وقال انهُ يفضل الموت على ذلك وان هذا ما يسعى اليهِ منذ قدومهِ الى الجزائر ٠ ولما يئست سيجرت منهُ استأذنت قائدها في التغيب فاذن لها وتوجهت الى حيث يقيم فيليب دي منتاغ وشقيقتهُ جوليا لعلمها انهما من جنس سسل وربما ساعداها على تخليصهِ ٠ ولما اطلعتهما على خبرهِ فهمت جوليا من كلامها ووصف اخيها ان الجندي المذكور هو سسل بعينهِ فقامت قيامتها واجمع الرأي على ان ترسل سيجرت عرضاً في واقعة الحال الى وزير الملكة وتطلب تأجيل الحكم على سسل وان تكتب جوليا واخوها الى سفير انكلترا يسألانه السعي في توقيف انفاذ الحكم ثم بعثوا بكلٍّ من الرسالتين رسولاً مخصوصاً واقاموا ينتظرون ما يكون ٠ وعاد رسول القائد وبيدهِ الامر موقعاً عليهِ فامر باعدام سسل في الصباح التالي وعاد في نفس الليلة رسول سيجرت وبيدهِ امر آخر يلغي الامر الصادر للقائد ويوقف الحكم فما تناولتهُ سيجرت حتى وثبت الى ظهر جوادها وجعلت تنهب الارض نهباً قاصدة المعسكر الفرنسوي فبلغتهُ عند الصباح٠ ولما اقتربت رأت في الساحة جنوداً مصطفة وفي وسطهم اثنا عشر جندياً

ببنادقهم وامامهم سسل موثقاً وهم ينتظرون الامر لاطلاق الرصاص . فلما رأت ذلك اخرجت الامر من ثوبها ورفعتهُ بيدها وجعلت تحث جوادها على المسير وكان قد نهكهُ الكلال ولما بلغت حدود المعسكر وثبت عن ظهرهِ وجعلت تعدو وهي تصيح قفوا قفوا ثم رأت البنادق ترتفع الى صدور الجنود فاشارت لهم بيدها غير ان القائد لم يكترث بها . وكانت قد اخذت من الكنتة جوليا راية انكليزية فرفعتها وبلغت سسل فرمت بنفسها عليهِ وطوقتهُ بذراعها وهي قابضة باليد الواحدة على الامر وبالاخرى على الراية وفي نفس الدقيقة كان قد أعطي الامر فقذفت البنادق رصاصها وسقط سسل وسيجرت الى الارض ...

ولم يصب الرصاص منهما مقتلاً بل اصيبا بجراحٍ كثيرة ونال سيجرت منها الحظ الاوفر وتقدم القائد فاخذ الامر من سيجرت وهو يحرق الأُرَّم ثم امر بنقلها الى المستشفى . وجاء بعد ذلك فيليب دي منتاغ برسائل اخرى فطلب سسل وسُمح لهُ بهِ وكرهت سيجرت البقاء في خدمة جيشٍ يحكمهُ رجلٌ ظلوم كالقائد فتركت الخدمة وسارت معهم . ولا يمكن القلم ان يصف مقابلة سسل لزوجتهِ جوليا ومختصر الكلام انهُ عاد بزوجتهِ الى انكلترا وكان والدهُ لا يزال حياً فتجددت ايام هنائهم ولما رأت سيجرت ان سسل متزوّج احالت كاس حبها الى فيليب فقبلهُ شاكراً واقترن بها وعاش الجميع بعد ذلك بغبطةٍ وسرور يذكرون مرارة الماضي ويتلذذون بحلاوة الحاضر